

## حسن شاهين\*

## حملة "تمرد": كارت أحمر للرئيس!

ما هي قصة حملة "تمرد"؟ وما سر الاستمارة التي قادت إلى تحرك جماهيري انتهى إلى تشكيل ائتلاف ضم القضاء والأزهر وجبهة الإنقاذ والكنيسة، الأمر الذي سمح للقوات المسلحة المصرية بإعلان عزل أول رئيس مدني لمصر، وطَيَّ صفحة حكم حركة الإخوان المسلمين الذي استمر عاماً واحداً فقط؟  
يقدم هذا التحقيق محاولة أولى للإجابة عن هذه الأسئلة، من دون أن يدعي القدرة على الإحاطة بجوانبها المتعددة التي صارت ملكاً للتاريخ، وموضوعاً سيعالجه مؤرخو هذه الحقبة المفصلية من تاريخ مصر.

جبهة الإنقاذ الوطني، من نقدهم اللاذع، وهي التي عجزت، من وجهة نظرهم، عن اتخاذ الخطوات السياسية التي تعبر عمّا يلمسونه لدى أغلبية الشعب المصري من ضيق وغضب من سياسات محمد مرسي وجماعته.

لقد شعروا بأن في إمكانهم فعل ما هو أكثر من مجرد النقاش النظري، وهم الذين اعتادوا أخذ المبادرة والفعل والعمل على الأرض، منذ نشاط حركة "كفاية" في عز جبروت نظام مبارك، مروراً بثورة ٢٥ يناير وجميع المحطات المهمة التي حدثت بعدها. وفي إحدى جلساتهم في مقاهم الأثير، اتخذوا قراراً بضرورة عمل شيء، فما

كانوا خمسة أصدقاء، اعتادوا الالتقاء يومياً في أحد مقاهي منطقة "وسط البلد"، الشهيرة بمقاهيها الشعبية التي يرتادها المثقفون والناشطون السياسيون. يتناقشون في السياسة ومستجداتها حتى ساعات الصباح الأولى.

كانت المرارة تملأ قلوبهم حين يتحدثون عمّا آلى إليه البلد في ظل حكم الرئيس محمد مرسي، وعن الثورة التي شعروا بأنها سُرقت منهم، وفي الوقت نفسه لا يوفرون المعارضة السياسية التقليدية، ممثلة في

\* صحافي فلسطيني وناشط حقوقي وشبابي.

نظام الحكم في مصر فحسب، بل أيضاً إلى عرقلة - إن لم يكن إنهاء - مشروع الإسلام السياسي بطبعته الإخوانية، والذي سعى للوصول إلى الحكم في أكثر من بلد عربي، ممتطياً ظهر ثورات الربيع العربي التي بادر إليها غيره.

كان الخروج السريع للإخوان من الحكم في مصر، وانهيال حلمهم بتسيّد المشهد السياسي في المنطقة لعقود مقبلة، أمراً صامداً لمؤيديهم ومفاجئاً لمناهضيهم. ظاهرياً كان الطريق إلى إسقاط مرسي في غاية السهولة واليسر، حملة توقعيات على ورقة تطالب بعزل الرئيس، ثم خروج شعبي يستمر يوماً واحداً... ويُقضى الأمر. لكن هل كان سقوط مرسي و"إخوانه" بسيطاً وهيناً إلى هذه الدرجة؟ وهل كان تأسيس حملة "تمرد" هو العامل الحاسم في إسقاط نظام محمد مرسي؟

يقول الصحفي المصري محمد خير: "الأهم من سبب تأسيس تمرد هو سبب رواجها، فقد شكّلت الإجابة التي كان يبحث عنها معظم المصريين إزاء خيبة أملهم من حكم الإخوان، بعد عام لم تفعل فيه الجماعة شيئاً سوى توطيد التمكين وإدخال الميليشيات إلى الصراع مع المعارضة والقضاء، لهذا لاقت تمرد تعاطفاً من خصوم مرسي سواء أكانوا من مؤيدي النظام السابق أو من القوى الثورية، وكان هذا كافياً لنجاح الحركة لأن مرسي في ذروة الدعم الثوري - لحظة انتخابات الرئاسة - لم يحصل سوى على ٥١٪ من أصوات المقترعين، وبدلاً من أن يكسب نصف المجتمع الآخر فقد خسر سريعاً من دعمه من خارج الإخوان". وفي السياق نفسه يقول طارق سعيد،

دامت القيادة السياسية التقليدية عاجزة فليبادروا هم. وشاءت المصادفة أن يحضر مجلسهم أحد أصدقائهم وهو محام، وينبهم إلى مادة معينة في الدستور الجديد الذي أخرجته الجمعية التأسيسية التي هيمن عليها الإخوان وحلفاؤهم الإسلاميون؛ فهذه المادة تُجيز للشعب سحب الثقة من الرئيس، ومن هنا جاءت فكرة حملة "تمرد".

كان الطرح في البداية أن يكون اسم الحملة "كرت أحمر للرئيس" - وهو عنوان كتاب للصحافي عبد الحليم قنديل، نُشر في عهد مبارك وأثار ضجة كبيرة حينها، ثم استبعده لطلوه - واقترح أحدهم اسم "تمرد" تيمناً بموقع في الإنترنت لشاب سوري يحمل الاسم نفسه، وحظي الاقتراح بموافقة الجميع واعتمده اسماً لحملتهم.

تقول ياسمين الجيوشي، وهي من مؤسسي "تمرد" والمسؤولة الإعلامية فيها: "عقدنا اجتماعات تحضيرية عديدة وقررنا تنظيم مؤتمر صحافي في ٢٩ / ٤ / ٢٠١٣، للإعلان عن الحملة، وأن يكون أول نزول لنا إلى الشارع لجمع توقعيات الناس هو الأول من أيار / مايو، يوم عيد العمال، للتأكيد على انحيازنا للطبقة العاملة ولمبادئ العدالة الاجتماعية التي وعدت بها ثورة يناير وتخلي عنها مرسي".

ولا تخفي ياسمين أنها ومعظم مؤسسي الحملة ينتمون إلى التيار القومي الناصري، وقد انضم إليها بعد ذلك أعضاء من التيار اليساري الماركسي، وعدد محدود من أصحاب التوجه الإسلامي المعتدل.

ربما لا يزال الوقت مبكراً لتقويم تجربة "تمرد"، والوقوف على جميع الحقائق والظروف المحيطة بها، لكن ما قامت به الحملة خلال أشهر قليلة لم يُقد إلى تغيير

الاستجابة الكبيرة التي شاهدها الجميع." إنَّ، كان هناك مخزون من الخيبة والغضب على حكم الإخوان ملأ صدور المصريين، وتراكم على مدار العام الذي

وهو مدير تحرير صحيفة "الكرامة" المصرية وعضو الهيئة العليا لحزب الكرامة الناصري، إنَّ "تمرد" عبارة عن حملة لها دور معين في التاريخ مرتبط بمهمة محددة، ينتهي



حكم فيه مرسي، وجاءت "تمرد" كي تفتح له الباب ليخرج إلى الميادين والشوارع ويتحول إلى إرادة تغيير. محمود بدر، أحد مؤسسي "تمرد"، يصف نفسه بأنه من "عاصري الليمون" الذين انتخبوا مرسي، وشعروا بالخذلان من أدائه وسياساته، وقد عبّر بمرارة عن هذا الخذلان حين قال في برنامج تلفزيوني: "هل انتخبْتُ محمد مرسي ليعتقل أكثر من ٩٠٠٠ شاب مصري على خلفية سياسية؟ هل انتخبْتُ محمد مرسي ليصف شمعون

دورها بإنجاز هذه المهمة، وبالتالي هي ليست حركة سياسية. وقد جاءت حملة تمرد استجابة لظرف موضوعي نضج في فترة وصل فيها الغليان الشعبي ضد محمد مرسي وحركة الإخوان المسلمين إلى ذروته، وكان الشارع ينتظر أن تتم دعوته إلى التحرك من جهة ما يثق بها." ويضيف سعيد: "تمرد"، مجموعة من الشباب الذي صدق مع نفسه فصدقه الناس، قدّموا للناس آلية عمل بسيطة وهي التوقيع على استمارة، ودعوتهم إلى التظاهر يوم ٣٠ حزيران/ يونيو، وكانت

أو تكل همّتهم، والأهم من ذلك لم يفقدوا ثقة الناس بهم.

ويفسّر المتحدث باسم التيار الشعبي، طارق سعيد ذلك فيقول: "يختلف شباب تمرد عن غيرهم من شباب ٢٥ يناير بأنهم أبناء الحركة الوطنية المصرية بامتياز، جاءوا من ثلاثة مشارب رئيسية: حركة كفاية، والتيار الشعبي [الذي أسسه حمدين صباحي]، والتيار القومي الناصري بشكل عام. وقد احتضنتهم الحركة الوطنية المصرية، ولم تكن وصيّة عليهم، ولا حاولت أن تمارس عليهم أي نوع من الضغوط، ولهذا السبب أقبل الشارع عليهم كشباب أخضر نظيف عفوي، ليس عليهم علامات استفهام".

ويضيف سعيد: "وقد التف شباب ٢٥ يناير، خاصة في المحافظات، حول حملة تمرد، هذا الشباب الذي شعر أن ثورته تسرق منه، اعتبر تمرد تصويباً وتقويماً لمسار ثورة يناير".

وفيما يتعلق بما أثير من لغط بشأن تمويل الحملة، وكيف استطاع شباب في مقتبل العمر أن يطلقوا حملة كبيرة غطت بلداً بحجم مصر، يقول الصحافي محمد خير: "الكلام عن تمويل تمرد مبالغ فيه، فعبقرية الفكرة [تكمن] في كونها لا تحتاج إلى تمويل هائل، إذ تعتمد على طبع استمارة بسيطة يتم تنزيلها من الإنترنت أو تصويرها بماكينات التصوير العادية، ويقوم كل شخص بهذا الدور مع أسرته وأصدقائه الذين ينفذون الأمر نفسه، وهكذا تضاعف الموقّعون في شهور قليلة على طريقة متواليّة مالتوس، كما وفرت بعض الأحزاب أقساماً من مقراتها للنشاط، بينما كان الدعم الأهم هو الترويج الذي تكفل به الإعلاميون المعارضون لمرسي".

بيرس بالصديق الوفي؟ هل انتخبته ليترحم المواطن المصري البسيط في عهده على أيام حسني مبارك؟

وحين دعا بدر المصريين في ٣٠ حزيران / يونيو للنزول إلى الشارع، خاطبهم قائلاً: "إن نزولنا ليس لإسقاط شرعية الرئيس مرسي، فهي سقطت بالفعل يوم مقتل محمد جابر (جيك) في ميدان محمد محمود، ومقتل الصحافي الحسيني أبو ضيف أمام الاتحادية، وفي اليوم الذي أصدر فيه مرسي إعلاناً دستورياً مستبداً، وفي اليوم الذي حاصر فيه أنصاره المحكمة الدستورية ليرهبوا قضاتها". وتابع بدر: "ما فعله تمرد هو التأكيد على إسقاط شرعية مرسي".

وبرر بدر إقبال المصريين الكثيف على توقيع استمارات "تمرد"، بقوله: "إنهم ردوا على الوقوف في طوابير الانتظار أمام المخابز وأمام محطات الوقود، بالاصطفاف بطوابير أمام مندوبي حملة تمرد في انتظار دورهم للتوقيع على الاستمارة".

ولم تكن الطريق أمام شباب "تمرد" مفروشة بالورود، فقد تعرضوا لكثير من المضايقات في أثناء عملهم في الحملة: من الاعتداء اللفظي والجسدي على المتطوعين وهم يروجون فكرة "تمرد" ويجمعون توقيعات الناس على الاستمارات، إلى الاعتقال وتقديم بلاغات بحقهم إلى النيابة العامة بتهم تنتمي إلى زمن الديكتاتورية، مثل العمل على إسقاط نظام الحكم. كما سُنت عليهم حملات تشهير وتشويه، سواء كمجموعة أو كأفراد، ووجهت إليهم تهمة عديدة من ضمنها العمالة للخارج وتلقّي تمويل خليجي والتحالف مع فلول نظام مبارك... إلخ، ومع ذلك كله لم تلبس عزمهم

في جبهة الإنقاذ الوطني بأحزابها التي يرى كثيرون أن معارضتها للحكم كانت سلبية وغير مؤثرة وافتقرت إلى ثقة الجماهير، فجاءت "تمرد" لتكشف عجزها وضعفها. يختلف طارق سعيد مع هذا التوصيف، ويقول: "عند الحكم على دور جبهة الإنقاذ، يجب مراعاة الظرف التاريخي الذي نشأت فيه، فهي عبارة عن تحالف لقوى وأحزاب من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار اجتمعت على برنامج الحد الأدنى، لهذا لم يكن لها أن تلعب دوراً أكبر من الدور الذي لعبته، فلا يجوز بالتالي تحميلها ما لا يمكن أن تتحمله. كما لا يجوز التقليل من الدور التاريخي الذي لعبته جبهة الإنقاذ

وتقول ياسمين الجيوشي: "إن الحملة اعتمدت بشكل أساسي على مبادرات أعضائها وبعض التبرعات البسيطة من بعض الأشخاص، كالفنانة شريهان التي أعارتهم شقة سكنية ليتخذوا منها مقراً لهم، والسيدة نادية هنري التي قامت بطباعة عدد من استمارات تمرد على نفقتها، فضلاً عن تبرّع بمنصة، وأمور من هذا القبيل." وتضيف ياسمين: "نحن كأعضاء مؤسسين في تمرد، مستوانا الاجتماعي قبل الحملة هو نفسه بعدها، حتى ملابسنا هي ذاتها، ومازلنا نمارس الأعمال نفسها ولم نحظ بأية ترقيات، ولم يتغير فينا شيء." لقد كان نجاح "تمرد" باهراً بالفعل، فهذا



خلال حكم مرسي، إذ استطاعت أن تجمع المصريين وتكون معارضة جادة للحكم، وتمكنت من كسب جولات عديدة في صراعها مع النظام، بالنقاط قبل أن تأتي تمرد وتجهز عليه بالضربة القاضية."

الشباب العشريني العفوي المندفع، الذي يتنفس الحرية وتتملكه روح الثورة، لم يُكبّل بعد بقيود اللعبة السياسية، وإنما عرف كيف يخرج عن قواعدها ويعمل بأسلوب مبتكر أربك خصومه، وربما أخرج حلفاءه

كتابة دستور بلدهم، وستقوم الحملة الجديدة بتقديم المقترحات التي سيخرج بها النقاش المجتمعي الذي تعمل على إثارته، إلى اللجنة الدستورية المولجة كتابة مسودة دستور مصر الجديد.

وتختلف ياسمين الجيوشي مع زميلها في الحملة محمود بدر، وتقول: "نحن نتعامل على أننا حركة، وسنعمل على أن نتحول إلى حركة سياسية، وقد أسسنا لجنة مركزية ووزعنا المهام داخلها، وشكلنا عدداً من اللجان كلجنة الاتصال السياسي، ولجنة الاتصال الإعلامي، ولجنة ثقافية، ولجنة العمل الاجتماعي، ونسير نحو التحول إلى حركة سياسية." وتُقرّ ياسمين بوجود اختلافات في وجهات النظر داخل "تمرد"، وتكشف مثلاً أن الأعضاء المكلفين بالاتصال السياسي اتخذوا بعض القرارات الفردية من دون الرجوع إلى زملائهم، وتمت مراجعتهم على ذلك، مشيرة إلى أن من الطبيعي أن تحدث أخطاء من هذا النوع في حركة ناشئة، ويتم تصحيحها بالنقد.

بعد خلع الرئيس مرسي، توجس كثيرون من دور محتمل للجيش في المرحلة المقبلة، بل ذهب البعض إلى اتهام قيادته بأنها دبرت حملة "تمرد" أو على الأقل دعمتها واستخدمتها للوصول إلى مآربها. وبشأن هذا الموضوع تكشف ياسمين الجيوشي، أن خريطة الطريق الشهيرة التي أعلنت في ٣ تموز / يوليو ٢٠١٣، تضمنت جميع البنود التي تقدمت بها "تمرد"، من تعيين رئيس المحكمة الدستورية رئيساً مؤقتاً للبلاد، إلى تكليف لجنة دستورية وضع دستور جديد، وإجراء انتخابات نيابية ورئاسية بعد ستة أشهر، وقد وافقت عليها قيادة الجيش بلا تحفظ،

و"تمرد" هي حملة وليست حركة كما يطلق عليها البعض، أي أن من المفترض أن تنتهي مهمتها بمجرد تحقيق الهدف الذي انطلقت من أجله، إلا إن دور شباب "تمرد" استمر بعد أن تدخل الجيش وعزل مرسي، فكانوا حاضرين في مشهد إعلان خريطة الطريق السياسية إلى جانب القيادات العسكرية والسياسية والدينية، وحرصت كافة الوفود التي زارت القاهرة منذ بدء الأزمة السياسية في مصر بعد عزل مرسي على الالتقاء بهم، الأمر الذي ترك باب التساؤل مشرعاً بشأن مستقبل "تمرد" السياسي، فهل ستستمر وتتحول إلى إطار سياسي منظم كحزب أو حركة؟ أم سيعود شبابها إلى الأحزاب والحركات المصرية التي جاءت منها لينشطوا من داخلها؟ يرى طارق سعيد، أن هناك رأيين بشأن مستقبل شباب تمرد: الأول يقول إن دور تمرد انتهى، وإن على شبابها العودة إلى أحزابهم، وهو ليس من حملة هذا الرأي؛ الثاني - والذي يتفق معه - يقول إنه يجب أن تنبثق عن حملة "تمرد" حركة سياسية تجدد شباب الحركة القومية، ثم تجدد شباب الحركة الوطنية المصرية ككل، فهي بحاجة إلى من يقدم أفكاراً من خارج الصندوق، وهؤلاء الشباب أهل لهذه المهمة. ويختلف محمود بدر، مع هذا الرأي، ويرى أن "تمرد" كانت وستظل حملة، ويقول: "لو تحولت [تمرد] إلى حزب فستكون سلعة مثل باقي السلع"، في تعبير يعكس نظرة قاسية من جانبه إلى الأحزاب السياسية المصرية، مؤكداً أن "تمرد" ستبقى حملة تطلق مجموعة من المبادرات، كمبادرة "أكتب دستورك"، التي تعمل الحملة على إطلاقها لحث المصريين على المساهمة في

ولم تضيف عليها أو تغير فيها شيئاً. هذه النقاط كلها، تقول ياسمين، كانت متضمنة في الورقة التي وقّعها المصريون للمطالبة بعزل مرسي، أي أن ٢٢ مليون الذين مهرّوا أوراق "تمرد" بتوقيعاتهم؛ هم أصحاب خريطة الطريق. وتؤكد ياسمين أن أول اتصال جرى بين قيادة الجيش وأعضاء "تمرد" كان يوم إعلان خريطة الطريق، ولم يكن هناك قبل ذلك أي لقاء أو تنسيق بينهم وبين الجيش.

لا شك في أن الأحداث والوقائع التي شهدتها مصر منذ الخروج الجماهيري الكبير في ٣٠ حزيران / يونيو، وحتى عزل محمد مرسي، ستبقى محل خلاف واختلاف لفترة طويلة من الزمن، بين من

يراهم انقلاباً عسكرياً على رئيس شرعي منتخب، ومن يرى فيها ثورة شعبية على رئيس مستبد، استجاب لها الجيش وقام بتنفيذ إرادة الجماهير. وهناك من يقول، كالباحث العراقي عبد الحسين شعبان، إنها ليست ثورة تامة ولا انقلاباً عسكرياً تاماً، وإنما تقع في منزلة بين منزلتين. ومهما تختلف الآراء بشأنها، ومهما يتباين التقويم للدور الذي أدته حملة "تمرد" في عزل محمد مرسي، فإن قصة الشباب المصري الذي أخذ على عاتقه مهمة عجزت عنها قوى سياسية عريقة وقيادات سياسية مجربة، ستظل ملهمة لأجيال وأجيال مقبلة من الشباب المصري والعربي. ■

من منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية

بالاشتراك مع النادي الثقافي العربي - بيروت

## فلسطين

### وصراعنا مع الصهيونية وإسرائيل

مجموعة مقالات ومحاضرات، ١٩٥٧ - ٢٠٠٩

وليد الخالدي

٤٧٩ صفحة ١٥ دولاراً